الفرع الرابع

أثـر الوقـف علـى الدعـاة

إن عمليـة تـوفير النفقات وكفالة شئون الدعاة والعلماء مطلب هام وضروري عمل الوقـف علـى تمويله مما كان لـه عظيم الأثر في انتشار الإسلام وازدهار الحضارة الإسلامية وتقـدم المـسلمين في شتى المجالات وساعد على تقدم المجتمعات الإسلامية آنذاك، ومما ينبغي الإشارة إليه أن مسألة النفقات تشكل عبئاً كبيراً بالنسبة لأي إنسان يعوزه المال ولديه ما يشغله مـثل الاشتغال بطلب العلم وهموم الدعوة بالنسبة للدعاة، ومثل هذا الأمر بحاجة إلى نوع من التأمين المتمثل في امتهان بعض المهن أو احتراف بعض الحرف وغير ذلك من أنواع الكسب أو تولي الوقف توفير تلك النفقات لكفالة الدعاة.

"إن الكـثيرين من المتعلمين والفقهاء الذين اعتمدوا في تعليمهم ومعاشهم الحياتي على أموال أمدتهم بها الأوقاف قد اندمجوا كذلك في الأعمال الاقتصادية والنشاطات التجارية الفردية فاشـتغل العلمـاء والفقهاء وطلبة العلم في السوق، وكان وجودهم واضحاً في ساحة النشاط الاقتصادي للمجتمع الإسلامي.

إذ عملوا تجاراً وكتبة ومحاسبين وصيارفة وفي غير ذلك من المهن، وكان العديد من العلماء يقـسمون نـشاطهم اليومي بين التجارة والتعليم فيشتغلون بعض الوقت تجاراً في السوق وفي الـبعض الآخر منه إما أن يكونوا طلبة متعلمين أو أنهم يقومون بالتدريس لغيرهم. وفي دراسة قامـت بهـا الباحثة "إيرا لابيدوس" عن المجتمع الإسلامي في العصر الوسيط نشرتها في كتابها "المدن الإسلامية في العصور الوسطى المتأخرة" وجدت أنه من بين نموذج استخلصته من تراجم الـرجال ستمائة تاجر في هذا العصر في بعض هذه المدن الإسلامية وجدت أن من بين هؤلاء ال(٦٠٠) تاجر مائتين وخمسة وعشرين واحداً منهم كانوا في الوقت نفسه أساتذة في المدارس الجامعية وعلماء شريعة وأئمة للمساجد الجامعة أو قضاة ومحتسبين، كما وجدت أن فيهم كتاباً للعدل ونظاراً على الأوقاف الخيرية، كما وجدت أن من بينهم أربعة وثمانين تاجراً يعملون في

الـــوقت نفـــسه كمحدثين في المساجد والمدارس الموقوفة، وخمسة عشر شخصاً آخرين كانوا يتولون وظيفة قاض، وستة آخرين عملوا في وظائف الإدارة العليا، كما أن ستة أشخاص كانوا يقومون بوظيفة الحسبة" (١) .

"وفي الوقت نفسه إن كان الشخص قادراً على أن يكون من طبقة المتعلمين ومن الذين يتـصدرون العلم فلم يقتصر ذلك على الطبقة ذات الموارد الاقتصادية المرتفعة، إلا أن ذلك لم يكن ممكنًا إلا بفضل ما وفرته الأموال الموقوفة لباقي الطبقات، من موارد صرفت عليهم بسخاء في سبيل تعليمهم حسبة لله" (٢) .

"إن الوقف على التعليم والمدارس قد عضد المهن والتعليم ومد المجتمع بما يحتاج إليه من مؤهلين لكل احتياجات الإدارة من مؤهلات وظيفية مختلفة أو لما احتاجه المجتمع من مهنيين في نشاطاته الاقتصادية والاجتماعية.

لقـــد ساعدت أموال الوقف العلماء وطلبة العلم في شؤون حياتهم، ففي مدرسة واحدة في العصور الوسطى كان هنالك مائتان من الأساتذة والمدرسين اعتمدوا كلياً في رواتبهم على أموال الوقف التي تراوحت في معدلها إلى ما يقرب من ستين ألف درهم في السنة.

علـــى الرغم من أن الكثير منهم لم يكن يشتغل بصفة دائمة، بل كان يعمل في بعض الوقت" (٣) .

ومـــا ينبغي الإشارة إليه أنه في السابق – أي في العصور التي سبقت العصر الحاضر – وعلـــى مر التاريخ الإسلامي، كانت سمة تنوع التخصصات، وكذلك تنوع المهام تغلب على أســـلافنا من العلماء، فعلى سبيل المثال لا الحصر: كان العالم لا يشتغل بفرع واحد من فروع العلـــم لا يشتغل مثلاً بالفقه –فحسب– بل كان يشتغل بالفقه والتفسير وعلوم اللغة وأحياناً

---

(١) الـــدور الاجتماعـــي للوقـــف–د. عبد الملك أحمد السيد ص ٢٥٧ نقلاً عن المدن الإسلامية في العصور الوسطى المتأخرة– إيرالابيدوس ص ٣٢.

(٢) الإسعاف في أحكام الأوقاف– برهان الدين الطرابلسي– ص ١٢٥.

(٣) الدور الاجتماعي للوقف–د. عبد الملك أحمد السيد ص ٢٥٩.

بالعلـــوم التجـــريبية ويتقن كل هذه التخصصات ويبرز فيها، وينسحب هذا الأمر على تنوع التخصـــصات، وعلى طلاب العلم أيضاً، فكان طالب العلم في السابق لا يكتفي بدراسة فرع واحـــد من فروع العلم، بل كان الطموح والرغبة في الطلب تحدوهم حتى إذا نال طالب العلم الإجازة على يد أحد الشيوخ في فرع من فروع العلم انصرف لدراسة فرع آخر وهكذا.

والحاصـــل أن التنوع في التخصصات والرغبة في الاستزادة من العلم قد أدت خدمات عظـــيمة للدعـــوة الإسلامية، وكما أن الدعوة لا تفيد من الدعاة الرسميين –فحسب– أي ممن تخصـــصوا في الدعوة فقط مثلما هو حاصل اليوم بل تفيد من كافة التخصصات حتى التجريبية البحـــتة، مـــا دامت تلك التخصصات العلمية يتم توظيفها في خدمة قضايا الدعوة، مثلما يتم توظـــيف الإعجاز العلمي في مجال الكون – الفلك، الجيولوجيا، علم البحار– أو علم الأجنة وغـــير ذلك من العلوم التجريبية في خدمة الدعوة الإسلامية أو الطب وما يمكن من توظيفه في إغاثـــة المجـــتمعات المحتاجة ودعوتها وما أود أن أؤكد عليه أن هؤلاء العلماء والمدرسين الذين اســـتفادوا من الوقف في السابق، لم يكونوا بمنأى عن خدمة الدعوة لقد كانوا في قلب ميدان الدعـــوة، لقـــد كانوا يعملون في معامل الدعوة التي تقوم على إعداد الدعاة وتأهلهم التأهيل العلمي المطلوب حتى يتسنموا أماكنهم في سبيل النهوض بمجتمعاتهم لإخراج رسالة ربهم.

إن كفالـــة العلماء والمدرسين والدعاة وكل من له صلة مباشرة أو غير مباشرة بالدعوة تشكل دعمًا مستمرًا لمسيرة الدعوة الإسلامية.

إن مؤســـسات الدعوة الآن ذات مفهوم واسع يشمل وزارات الأوقاف والمساجد التي تتبعها، وتشمل أيضاً مدارس التعليم العام والجامعي ومعاهده التي تعنى بإعداد الدعاة وتأهيلهم وكلياته، ويدخل فيها كذلك إدارات الوعظ والإرشاد واللجان العليا للدعوة، إدارات الشؤون الدينـــية والمجلس الأعلى العالمي للمساجد والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وإدارات تدريب الـــدعاة ووســـائل الإعـــلام الإسلامية مقروءة أو مسموعة أو مرئية كما يدخل تحت مفهوم مؤســـسات الدعوة أيضاً المؤسسات الأهلية والجمعيات الشرعية التي تعنى بالجوانب الدعوية، والمـــساجد والجوامع التي تنطلق منها برامج دعوية وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم وغيرها من

المؤسسات الدعوية، التي تؤدي خدمات عظيمة للإسلام إذا تعاونت فيما بينها.

إن مهمة الداعية هي دعوة الناس إلى الإسلام وترك ما هم عليه من أديان باطلة ومذاهب فاسدة، وهذا يقتضي أن يكون الداعية عالمًا بعقيدة الإسلام قادرًا على إقناع من يدعوهم، كما يقتضي أن يكون مطلعًا على ظروف المجتمع الذي يمارس فيه الدعوة وأن يكون مدربًا على استخدام مناهج الدعوة وأساليب الحوار والمجادلة.

وهذا كله لا يتأتى تحققه في العصر الحاضر إلا من خلال المؤسسات التعليمية والتربوية التي تعد الدعاة علميًا وتدربهم عمليًا على القيام بالدعوة وتضع بين أيديهم الوسائل التي تعينهم على القيام بتبليغ الإسلام، ونشر الدعوة، مستفيدين مما وصل إليه العلم الحديث من وسائل وتقنيات عالية توظف لصالح الدعوة إلى الله تعالى. ولا شك أن إقامة مثل هذه المؤسسات وإدارتها يحتاج إلى دعم اقتصادي يتمثل في تمويل إنشائها وتجهيزها وصيانتها ودفع مرتبات القائمين عليها والعاملين فيها مما يستلزم دعم الوقف وتمويله لهذه المتطلبات مما يعمل على تحسين أوضاع الدعاة حتى يتمكنوا من القيام بمهمتهم كاملة وتوفير كافة الإمكانات المتاحة التي تساعدهم على أداء مهمتهم.

إن قلة المال تشكل معوقاً أساسياً في سبيل نشر الدعوة وهذا ما يلمسه المهتمون بشؤون الدعوة ولعل هذه المشكلة تظهر بشكل واضح في الغرب وفي أوروبا حيث تكثر الحملات الإعلامية الرامية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين مما يتطلب رصد ومتابعة وإعداد الردود المناسبة لرد الشبهات وتفنيدها وتوظيف قنوات فضائية ومواقع في شبكة المعلومات (الإنترنت) ومحطات إذاعية وصحف ودوريات توجه لهذا الغرض، مما يستلزم رصد ميزانيات ضخمة لمواجهة هذه الهجمة الشرسة ولإيضاح الصورة المشرفة لدين الإسلام، ولا شك أن تخصيص الأوقاف لهذا الجانب الحيوي الهام سيكون له - بإذن الله - دور فعَّال في نهوض المؤسسات الدعوية بدورها المناط بها على الوجه المطلوب مع استفادتها من التقنيات الحديثة وتوظيفها لخدمة الدعوة الإسلامية وبرامجها.